﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ [الشّورى: 37]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

مِـــن دلائـــلِ الإيمانِ وصدْقِ التَّوكُّل اجتنابُ كـبـائـرِ الإثـــم والفواحش

لَمّا كان كُلٌّ مِن الإيمانِ والتَّوكُّلِ أمرًا باطِنًا؛ كان لا بُدَّ مِن دَلائِلِه مِن ظواهِرِ الأعمالِ، وكانتْ تَخْلياتٍ مِن الرَّذائِلِ، وتَحْلياتٍ بالفَضائِلِ، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَجۡتَنِبُونَ﴾: (جنب) له أصْلانِ مُتَقارِبانِ، أحدُهما: النّاحِيةُ، والآخرُ البُعدُ[2]، وجنَّبَه الشَّيءَ تجْنيبًا؛ أي: نحّاهُ عنه، وجعلَه ناحيةً منه وجانبًا، وكذلك جنَّبتُه، وقولُه تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النّحل: 36]، أي: اتْرُكوه بالكلِّيَّة[3]، فالاجتِنابُ المرادُ في الآيَةِ موافقٌ للمعنى اللُّغويِّ، أي: يبتعدون عن كبائر الإثم والفواحش، ويتركونها.

2) ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾: الكبائر واحِدَتُها كَبيرَةٌ، وهيَ الفَعْلَةُ القبيحةُ مِنَ الذُّنوبِ المنهيِّ عَنها شَرعًا، العَظيمِ أمرُها كالقَتلِ والزِّنى والفِرارِ مِنَ الزَّحْفِ وغَيْرِ ذَلِكَ، فالكبيرةُ متعارَفةٌ في كلِّ ذنبٍ تعظُمُ عقوبتُه[4]، وهو المعنى المراد هنا، أي: الفِعلاتُ الكَبيرَةُ، وهيَ الآثامُ العَظيمَةُ الَّتي نَهى الشَّرعُ عَنها نَهْيًا جازِمًا[5].

3) ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾: الذَّنب؛ لأنَّ هذا الإثمَ بطيءٌ عَنِ الخير مُتأخِّرٌ عنه[6]،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 328، و329.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جنب).
(3) الرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب: (جنب).
(4) الرّاغب، المفردات: (كبر).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 110.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (أثم).

والإثمُ: التَّقصيرُ، وسُمّيت الخمرُ إثْمًا؛ لأنَّها تقصرُ بشاربها لذهابها بعقله، والإثمُ لا يكون إلّا تعمُّدًا[1]، والإثمُ ما يَحْمِلُ على قَلَقِ النَّفس، وهو معصيةٌ وخطيئةٌ تستحِقُّ على صاحبها الذَّمَّ والعقوبةَ عليه[2]، وهو المعنى المراد هنا.

4) ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: جَمْعُ فاحِشَةٍ، وهيَ: الفِعلَةُ المَوصوفَةُ بالشَّناعَةِ، والَّتي شَدَّدَ الدِّينُ في النَّهي عَنها، وتَوَعَّدَ عَلَيها بالعَذابِ، أو وضَعَ لَها عُقوباتٍ في الدُّنيا لِلَّذي يَظْهَرُ عَلَيهِ مِن فاعِليها، وهَذِهِ مِثْلُ قتلِ النَّفس، والزِّنى، والسَّرِقَةِ، والحِرابَةِ"[3].

5) ﴿غَضِبُواْ﴾: الغضبُ هو السُّخْط ضدُّ الرِّضا[4]، والغَضَبُ: ثورانُ دمِ القلبِ إرادةَ الانتقام[5]، وهو مِنَ المَخْلوقِينَ، شيءٌ يُداخِل قُلوبَهم، ومِنهُ مَحمودٌ ومَذمومٌ؛ فالمَذمومُ: ما كانَ في غَيرِ الحَقِّ، والمَحمودُ: ما كانَ في جانِبِ الدِّينِ والحَقِّ، والغَضَبُ مِن اللَّهِ صفةُ فعل، آثارُه: سُخْطُه على مَن عَصاه، وإعراضُه عَنهُ، ومُعاقَبَتُهُ لَهُ[6]، ومعنى الغضب هنا موافقٌ للمعنى اللُّغويِّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّخلّي عن الرَّذائلِ والتَّحلّي بالفضائل

يتابعُ البيانُ الإلهيُّ بيانَ صِفاتِ عِبادِه المؤمنينَ المستحقِّين للثَّوابِ العظيم، المتوكِّلين على الله، فيقولُ: وما عند اللَّهِ خيرٌ وأبقى للَّذين آمنوا، الَّذين يَجتَنِبونَ كَبائِرَ الإثمِ والفواحِشِ كالقتْلِ والزِّنى، وإذا غَضِبوا على مَن أساءَ إليهم، واجترمَ إليهم جرمًا يَصفَحونَ عنه، ويَتغاضَونَ عن إساءتِه، ويَستُرونَها عليه، ولا يَنتَقِمونَ لأنفُسِهم[7].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 233.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (إثم)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 40.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 110.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (غضب).
(5) الرّاغب، المفردات: (غَضِب).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (غضب).
(7) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 545.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سرُّ العطف في: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾، فيه إتباعُ الموصولِ السّابقِ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، بمَوصولاتٍ مَعطوفٍ بعضُها على بعضٍ، كما تُعطَفُ الصِّفاتُ للمَوصوفِ الواحدِ، فكذلك عطْفُ هذه الصِّلاتِ ومَوصولاتِها، أصحابُها مُتَّحِدونَ، وهم الَّذين آمَنوا باللهِ وحْدَه[1]، ويكون بهذا العطف قد جمعَ بينَ التَّوحيدِ والعِفَّةِ والعفو؛ إذ إنَّه سُبحانَه أخبَرَ أنَّ ما عِندَه خيرٌ لِمَن آمَنَ به، وتَوَكَّلَ عليه، وهذا هو التَّوحيدُ، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾، فهذا اجتنابُ داعي القوَّةِ الشَّهوانيَّةِ، ثمَّ قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾، فهذا مُخالفةُ القوَّةِ الغَضَبيَّةِ[2]، كما أنَّه بهذا العطف جمعَ بين الإيمان والتَّوكُّل، وهما عملان قلبيّان، وما يصدقهما؛ فالمؤمنُ يُترجِمُ عملَه إلى سلوكٍ، بأنْ يُطَهِّر عملَهُ من كلِّ المحرمات، ويأتي بالأعمال الحسنة.

ثـــوابُ الآخـــرة لِمـن جـمـعَ بـينَ التَّوحيدِ والعِفَّةِ والعفو

سرُّ تكرارِ اسمِ الموصول (الَّذِينَ):

كرَّر البيانُ الحكيم الاسمَ الموصول (الذين)، ولم يعطفْ صفةَ اجتنابِ كبائرِ الإثم على الصِّفات السّابقة من غير اسم الموصول، فلم يقل: (وما عند الله خير وأبقى للَّذين آمنوا، ويجتنبون كبائرَ الإثم، واستجابوا لربِّهم)، رغمَ أنَّ أصحابَها مُتَّحِدونَ، وهم الَّذين آمَنوا باللهِ؛ وذلك اهتمامٌ بالصِّلاتِ، فيُكرَّرُ الاسمُ الموصولُ؛ لِتَكونَ صِلتُه مُعتنًى بها، حتّى كأنَّ صاحبَها المتَّحِدَ مُنزَّلٌ مَنزلةَ ذواتٍ مُتعدِّدةٍ، فالمقصودُ: ما عِندَ اللهِ خيرٌ وأبْقَى للمُؤمنينَ الَّذين هذه صِفاتُهم، أي: أتْبَعوا إيمانَهم بها، وهذه صِفاتٌ للمُؤمنينَ باختِلافِ الأحوالِ العارضةِ لهم،

ما عِندَ اللهِ خيرٌ وأبْقَى للمُؤمنينَ الَّـذيـن هـذه صِفاتُهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 110.

(2) ابن القيّم، الفوائد، ص: 81.

فهي صِفاتٌ مُتداخِلةٌ قد تَجتمِعُ في المؤمنِ الواحدِ؛ إذا وُجِدتْ أسبابُها، وقد لا تَجتمِعُ؛ إذا لم توجَدْ بعضُ أسبابِها[1].

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

في التَّعبيرِ بلفظ ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾ دون (يجانبون)؛ للدَّلالة على أنَّ هؤلاء المؤمنين يبذلون الجهدَ، ويجتهدون، ويُكلِّفون أنفسَهم أن يُجانبوا كبائرَ الإثمِ والفواحش[2]؛ لأنَّ الاجتناب جاءَ على صيغة (الافتعالِ) الَّتي تدلُّ على شدَّةِ الطَّلبِ والمحاولةِ والتَّحرّي، والاجتهادِ في الطَّلب، والمبالغةِ في الفعل، كما أنَّه لم يُعبِّر بالابتعاد؛ لأنَّ الاجتنابَ أبلغُ منَ الابتعاد؛ لأنَّ الاجتنابَ يجمعُ بين معنى النّاحية والبُعد[3]، فيكون في ذلك زيادةٌ في مدحِ صفات المؤمنين، فهُم لم يبتعدوا عن كبائرِ الإثم فقط، بل تركوها بالكلّيَّة، وكأنَّهم جعلوها في ناحيةٍ أخرى غيرِ ناحيتِهم، والتَّعبيرُ بصيغة المضارعة يلائمُ واقعَ المؤمنين الصّادقين في استمرارِ اجتهادهم في اجتنابِ الكبائر والفواحش، ودوامِهم على ذلك[4]، وما يتعرَّضون له من وساوسِ شياطين الإنس والجنِّ، الَّتي لا تنقطعُ، ممّا يجعلُ هؤلاء المؤمنين أهلًا لاستحقاقِ تكريم اللّه لهم في الآخرة.

مـن صـفـات المؤمنين المبالغةُ في تـرك الكبائر والابتعاد عنها

تعدُّد القراءات في: ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ بين الجمع والإفراد، وثراء المعنى:

قرَأها حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ ﴿كَبِيرَ﴾ بالإفرادِ، وقرَأ الباقون ﴿كَبَٰٓئِرَ﴾ بالجمع[5]، ومعنى ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾: الفَعلاتُ الكَبيرةُ مِن جِنسِ الإثم، وهي الآثامُ العَظيمةُ الَّتي نَهى الشَّرعُ عنها نَهْيًا جازمًا، وتَوعَّدَ فاعِلَها بعِقابِ الآخِرةِ، مِثلُ: القَذْفِ والاعتداءِ والبَغي، وعلى

المـؤمـنـونَ ما بـين مجـتـنـبٍ لـكـلِّ الكبائر، ومُـجـتـنـبٍ لأعظمها، وهو الشِّرك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 110.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 329.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (جنب).
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 46.
(5) ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص: 643، وابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 367.

قِراءةِ ﴿كَبِيرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾ مُرادٌ به معنى كَبائِرَ الإثم؛ لأنَّ المفردَ لمّا أُضيفَ إلى مُعرَّفٍ بلامِ الجِنسِ مِن إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصوفِ، كان له حُكمُ ما أُضيفَ هو إليه[1]، أي: قراءةُ الإفراد بمعنى قراءة الجمع، أو هي أبلغُ لشمولها المفرد[2]، أو أنَّ قراءةَ الإفراد المراد به كبيرُ الإثم، وهو الشِّرك[3]، فيكون في قراءة الإفراد إشارةٌ إلى سعةِ رحمة اللّه تعالى؛ إذ يكفي اجتنابُ أعظمِ الكبائر، وهو الشِّرك؛ ليدخلَ في صفة المؤمنين، ممّا يُعطي أملًا للمُذْنبِ بالتَّوبة؛ إذا اجتنبَ ذنوبًا دونَ الشِّرك، وفي قراءة الجمع تَظْهَرُ صفةُ المؤمن المُلْتَزم باجتناب جميعِ الكبائر.

الغرضُ من إضافة ﴿كَبِيرَ﴾ إلى ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾:

الكبيرةُ هي الفَعْلةُ القبيحةُ مِنَ الذُّنوبِ المَنهيِّ عَنها شَرْعًا، العَظِيمِ أمرُها، والإثمُ لفظ عامٌّ يشملُ كلَّ معصيةٍ، صغيرةٍ كانت أو كبيرة، ففي إضافةِ ﴿كَبِيرَ﴾ إلى ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾ دلالةٌ على أنَّ هناك درجاتٍ في الإثم، فليس كلُّ إثمٍ كبيرًا، ومِن ثَمَّ المدح يتركَّزُ على اجتنابِ العظائم من الإثم دونَ التَّشديد على الصَّغائر، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النّجم: 32]، وهذا من رحمته سبحانه بعباده المؤمنين.

من رحمتِهِ سبحانه أنَّ التَّشديدَ يكون للعظائم من الإثم دونَ الصَّغائر

دلالةُ العطف في: ﴿وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾:

عَطْفُ الفواحشِ على كبائر الإثم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ من باب عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ الفواحشَ جمعُ فاحشة، وهي من جملة كبائر الإثم، وقد خصَّها اللّهُ تعالى بالذِّكرِ بهذا العطف؛ اهتمامًا بها، وتنبيهًا على خطورتها،

تخصيصُ الفواحش بالذِّكر بعد الكبائر تنبيهٌ من خطورتها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 110.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 329.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 39.

وأكثرُ ما تُطلَقُ الفواحشُ على جريمة الزِّنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: 32]، أو أن تكونَ الفواحشُ هي الصَّغائر، وهي ما أنكره الشَّرع والعقل والطَّبع، كسرقة لقمة، والإقرارِ على المعصية من شيخٍ جليل القَدْرِ لمن لا يخشاه، ولا يرجوه، فاستعظمَ النّاسُ أمرَها؛ لدلالتها على الإخلال بالمُروءة، ويكون المعنى: وما عند الله خيرٌ وأبقى للَّذين يجتنبون الكبائر، وهي جِنسُ الفِعال الكِبار، ويجتنبون الصَّغائر لإخلالها بالمُروءة[1].

دلالةُ التَّعبير بـ(الفَواحِشَ) جمعًا دونَ الإفراد:

من كمالِ صفاتِ المؤمنين اجتنابُ جميعِ الفواحش

عبَّر البيانُ القرآنيُّ عن (الفواحشِ) بصيغة الجمع، فلم يقل: (يجتنبون كبائر الإثم والفاحشة)؛ توافقًا مع الجمع في ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾، وللدَّلالة على اجتنابِ المؤمنين الموصوفين لكلِّ الفواحش، سواءٌ أريدَ بها ما فَحُشَ، وعَظُمَ قُبْحُه من الذُّنوبِ أو الصَّغائر، وفي هذا مزيدُ مدحٍ للمؤمنين في الآية، فهُم يجتنبونَ جميعَ الفواحشِ مع كثرتها وتَعدُّدِها، ولو عَبَّر بالمفرد؛ لظُنَّ أنَّ المرادَ بالاجتنابِ هو فاحشةُ الزِّنى فقط.

معنى اللّام ودلالتُها في الإثم والفواحش:

في العمومِ دليلٌ على صلاحِ المؤمنين المستحِقِّ للثَّواب العظيم

لامُ تعريف ﴿ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ جنسيَّةٌ، تفيدُ العمومَ، أي: يجتنبون جنسَ كبائرِ الإثم وجنسَ الفواحش، أي: جميعها، وهذا العمومُ يدلُّ على صلاحِ المؤمنين المستحقِّ للثَّواب العظيم من الله، وبما أنَّ اللّامَ للجنس؛ فإنَّ الجمعَ في اللَّفظين للمبالغة، أو باعتبار تعدُّد من يصدرُ عنه هذا الاجتناب.

سرُّ التَّعبير بالواو في: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾:

لّما كان كَثيرٌ مِن كَبائرِ الإثمِ والفواحشِ مُتسبِّبًا عن القوَّةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 329.

الغضَبيَّةِ، مثل: القتلِ والجراحِ، والشَّتْمِ والضَّرْبِ؛ أعقَبَ ذلك بالثَّناء على الَّذين يَجتنِبونَها، فذكَرَ أنَّ مِن شِيمتِهم المَغفرةَ عِندَ الغضبِ، أي: إمساكَ أنفُسِهم عنِ الاندفاعِ مع داعيةِ الغضبِ[1].

مِـن صـفـاتِ المؤمنين إمساكُ أنـفُـسِـهـم عـنِ الانـدفـاعِ مع داعيةِ الغضبِ

دلالةُ التَّعبير بـ(إذا) دون (إن):

جِيءَ بكَلمةِ (إذا) المُضمَّنةِ معنَى الشَّرطِ، والدّالَّةِ على تَحقُّقِ الشَّرْطِ؛ لأنَّ الغضَبَ طَبيعةٌ نفْسيَّةٌ لا تَكادُ تَخْلو عنه نفْسُ أحدٍ على تَفاوُتٍ؛ لإفادةِ التَّقَوِّي، وتَقييدُ المسنَدِ بحَرْفِ (إذا) المفيدةِ معنى الشَّرطِ؛ للدَّلالةِ على تَكرُّرِ الغُفرانِ؛ كلَّما غَضِبوا[2].

الغضَبُ طَبيعةٌ نفسيَّةٌ لا تَكادُ تَخْلو عنه نفْسُ أحدٍ على تَفاوُتٍ

معنى ﴿مَا﴾ ودلالتُها في: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾:

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ صلةٌ، وقد أفادَ ذِكْرُها توكيدَ تجاوزِهم عن الشَّخصِ الَّذي أغضبَهم، وصَفْحِهم عنه، وحِلْمِهم عليه.

دلالةُ التَّعبير بالفعل ﴿غَضِبُواْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

آثرَ البيانُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بلفظ الغضب دون غيره من الألفاظ، كالسُّخط مثلًا؛ لأنَّ الغضبَ أشدُّ من السُّخط، وأعمُّ من جهةِ أنَّه يكون من الصَّغير على الكبير، ومن الكبير على الصَّغير[3]، فهو يُصيبُ الجميعَ؛ إذ هو طَبيعةٌ نفسيَّةٌ لا تَكادُ تَخْلو عنه نفْسُ أحدٍ على تَفاوُتٍ، فكان التَّعبيرُ به هنا أنسبَ مع مقامِ مدحِ المؤمنين؛ لأنَّ الغضبَ على طبع النّار، واستيلاؤه شديدٌ، ومقاومتُه صعبة، وقد أتى بصيغة الماضي ﴿غَضِبُواْ﴾؛ للإشارة إلى تحقُّق وقوعِ الغضب من المؤمنين، وسرعةِ انقضائه، فهُم لا يبقونَ، ولا يستمرّون عليه، بل يغفرون سريعًا، وكأنَّ الغضبَ لحظةٌ عابرةٌ في حياتهم، بينما العفوُ هو الأصلُ، وفي هذا مزيدُ امتداحٍ لهم على هذه الصِّفة.

غـضـبُ المؤمـن طَبيعةٌ نفْسيَّةٌ وحـالـةٌ عَرَضيَّةٌ تـزولُ، والعَفوُ صـفـةٌ أصـلـيَّـةٌ تبقى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 110، و111.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 330، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 111.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 130.

سرُّ تقديم الغضب في قوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾:

الغضبُ ردَّةُ فعلٍ أوَّليَّةٍ، والغُفرانُ خُلقٌ أصيل يُنبِئُ عن قوَّةِ الإيمان

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الغَضَبَ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، ولم يقل: (هم يغفرون؛ إذا ما غضبوا)؛ إشارةً إلى الاهتمامِ بإطفاءِ جَمْرِه، وتَبْريدِ حَرِّه[1]؛ لِما له من أخطارٍ وأضرارٍ على الفردِ والمجتمع، فالغضبُ حالةٌ طبيعيَّةٌ تعتري الإنسانَ، لكنَّ الفضيلة الحقيقيَّة هي التَّجاوزُ عنه، فالغضبُ ردَّةُ فعلٍ أوَّليَّة، والغُفرانُ تصرُّفٌ اختياريٌّ واعٍ، وخُلُقٌ أصيلٌ يُنبئُ عن قوَّة الإيمان، فالمؤمنون ليسوا معصومين عن الغضب، ولكنَّهم مُسيطرون على عواقبه.

الغَرض من تقديم المسند إليه ﴿هُمْ﴾ على خبره الفعليِّ:

في اختصاصهم بالمغفرةِ حالَ الغَضبِ دليلٌ على قوَّة إيمانهم

تقديمُ المسنَد إليه ﴿هُمْ﴾ على الخَبرِ الفعليِّ ﴿يَغْفِرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، يفيدُ القَصْرَ والاختصاصَ، والمعنى: هم دون غيرهم الَّذين يغفرون عند الغضب، أي: هم الأخِصّاءُ بالمغفرةِ حالَ الغَضب لعزَّةِ منالِها، لا يغولُ الغضبُ أحلامَهم، كما يغولُ حلومَ النّاس[2]، فبَواطنُهم في غفْرهم كظواهرهم[3]، وهذا دليلٌ على قوَّةِ الإيمان عندهم، وللتَّأكيد كذلك على أنَّ المؤمنين هم أصحابُ القرار، فالغُفرانُ منهم هم، ليس مجاملةً لأحد، ولا إجبارًا من أحد، فالمَغفرةُ حينما تكون بسببِ شفاعة من أحد يكون الجميل للشّافع، وفي هذا دليلٌ على شِدَّةِ إخلاصهم في غُفرانهم لمَن يسيء إليهم.

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَغْفِرُونَ﴾:

كلَّما حدثَ للمؤمنين غضبٌ جدَّدوا غفْرًا

عبَّر البيانُ الحكيم عن فعل المؤمنين للغُفران بصيغة المضارع؛ للدَّلالة على تجدُّد العفوِ والصَّفح منهم، واستمرارهم عليه، وأنَّه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 330.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 228، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 34.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 330.

كلَّما حدثَ لهم غضبٌ؛ جدَّدوا غفرًا، أي: محوًا للذَّنب عينًا وأثرًا مع القدرةِ على الانتقامِ، فسجاياهم تقتضي الصَّفحَ دون الانتقام ما لم يكن من الظّالمِ بغيٌ؛ لأنَّه لا يُؤاخذ على مُجرَّد الغضبِ إلّا متكبِّرٌ[1].

سرُّ ترتيبِ الأوصاف في الآية:

دَرْءُ المفاسدِ مقدَّمٌ على جَلْبِ المصالح

قدَّمَ النَّظمُ الحكيمُ اجتنابَ كبائرِ الإثم والفواحش على المغفرة عند الغضب؛ لأنَّ التَّخْليات - وهي دَرْءٌ للمفاسدِ - مُقدَّمةٌ على التَّحْلياتِ الَّتي هي جلْبٌ للمَصالحِ[2].

سرُّ تخصيص الغضب بالغُفران:

الغَضَبُ على طَبعِ النّارِ استِيلاؤُه شَديدٌ ومُقاومتُه صَعبةٌ

خَصَّ الغَضَبَ بلَفظِ الغُفرانِ؛ لأنَّ الغَضَبَ على طَبعِ النّارِ، واستِيلاؤُه شَديدٌ، ومُقاومتُه صَعبةٌ[3]، وكذلك للمقارنة الضِّمنيَّة مع أخلاق الجاهليَّة؛ إذ كان الغضبُ يُؤدّي إلى الإقدام على الثَّأرِ والانتقام، فبيَّن أنَّ المؤمنَ الحقَّ إذا ما غضبَ؛ يعفو، ويصفح، ويتخلَّق بأخلاق ربِّه في المغفرةِ والعفو.

سرُّ مدحِ المؤمنين بهذه الصِّفة في: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾:

المغفرةُ عند الغضب تدلُّ على كمالِ الإيمانِ، وتُنبئ عن سُموِّ الأخلاق

جُعِلَتِ المغفرةُ عند الغضب صفةَ مدحٍ يتَّصفُ بها المؤمنُ الحقُّ؛ لأنَّها تدلُّ على كمالِ الإيمان، ولأنَّها تمثِّلُ أعلى درجاتِ الإحسان، والمؤمنُ يتخلَّقُ بأخلاقِ الله من العفو والمغفرة، فيَفترقُ بذلك عن أخلاقِ الجاهليَّة، الَّذي كان يدفعُهم الغضبُ للانتقامِ والثَّأر، ولأنَّ خُلُقَ المغفرةِ عند الغضب يُساهمُ في تحقيقِ السَّلامِ الاجتماعيِّ؛ إذ يُؤدّي إلى إطفاءِ نارِ العداوات، وتقليلِ النِّزاعات من خلالِ القدرة على التَّحكُّم في النَّفسِ، وقوَّةِ الإرادة، وتمامِ العقل والرُّشْد.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 330.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 328، و329.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 603.

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

من بلاغةِ القرآن مراعاةُ السّياقِ ووحدةُ الموضوع

قوله تعالى هنا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾، وقولُه في سورة النَّجم: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النّجم: 32]، مدحٌ للمؤمنين لاجتنابهم كبائرَ الإثم والفواحش، إلّا أنَّ الاختلافَ بين الآيتين أنَّه في آية النَّجم أضافَ قولَه: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النجم: 32]، فاستثنى من اجتنابِ الكبائر والفواحش اللَّممَ، وهي صغائرُ الذُّنوب، بينما في آية الشّورى لم يستثنِ، وتوجيهُ ذلك: أنَّ سياقَ الآياتِ في سورة الشّورى عن ذِكرِ الفضائل المطلقة للمؤمنين؛ إذ ذَكر صفاتِ المؤمنين الكاملةَ، من توكُّلهم على الله حقَّ التَّوكُّل، ومغفرتِهم عند الغضب، واستجابتِهم لربِّهم، وإقامتِهمُ الصَّلاةَ، والعفوِ والإصلاحِ وغيرها من صفاتِ الإحسان، فناسبَ ذِكرُ اجتنابِ الكبائر والفواحشِ دونَ استثناء، ممّا يُبرزُ كمالَ أخلاقِهم وصفاتِهم، وأمّا في سورة النَّجم؛ فالسّياقُ هو التَّخفيفُ عن العبادِ وعدمُ اليأس، والتَّرغيب بالتَّوبة؛ فناسبَ استثناءُ الصَّغائر؛ إظهارًا لسَعةِ مغفرةِ الله تعالى، وتخفيفًا عن العباد، ولهذا قال بعدَها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم: 32].

❁ الفُروقُ المعْجَميَّة:

الاجتناب والابتعاد:

في مبالغةِ بُعدِ المؤمنين عن كبائرِ الإثم مزيدُ مدحٍ لكمال صفاتهم

الاجتنابُ أبلغُ من الابتعاد؛ لأنَّ الاجتنابَ يجمعُ بين معنى النّاحية والبُعد، وجنَّبهُ الشَّيءَ: نحّاهُ عنه، وجعلهُ ناحيةً منه وجانبًا، وابتعدَ عنه بالكلّيَّة[1]، بينما الابتعادُ تركُ مسافةٍ بينَه وبين الشَّيء، فهو خلافُ القُرْب، والمباعَدَةُ: تباعدُ الشَّيء عن الشَّيء والنَّأيُ عنه[2]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (جنب).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وأحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية المعاصرة: (بعد).

وقدِ استعملَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ الاجتنابِ دونَ الابتعاد؛ زيادةً في مدحِ صفات المؤمنين، فالاجتنابُ هنا لم يدلَّ على مُجرَّدِ ابتعادهم عن كبائر الإثم وعدم اقترافها، بل دلَّ على المبالغة في بُعْدهم عنها وتَرْكِها بالكلّيَّة، وكأنَّهم جعلوها في ناحيةٍ أخرى غيرِ ناحيتهم.

المؤمنون يجتنبون كلَّ كبيرةٍ تُؤخِّرهم عن الخير، وتنفِرُ منها نفوسُهم

الإثْم والذَّنب:

الإثمُ: هو البُطْءُ والتَّأخُّرُ عن الخير والتَّقصير؛ لأنَّ ذا الإثمِ بَطِيءٌ عَنِ الخَيرِ مُتَأخِّرٌ عَنهُ، وسُمّيت الخمرُ إثمًا؛ لأنَّها تقصرُ بشاربها لذهابها بعقله، فالإثمُ هو الذَّنبُ الَّذي يستحقُّ العقوبةَ عليه، ولا يكون إلّا تعمُّدًا[1]، وهو معصيةٌ وخطيئةٌ تستحِقُّ على صاحبها الذَّمَّ واللَّومَ والعقاب، ويحملُ على القلقِ؛ فتنفرُ منه النَّفسُ، ولا يطمئنُّ له القلب، وفي الحديث: «الإثمُ ما حاكَ في صدرك»[2]، ولا يَصحُّ أن يوصفَ بِهِ إلّا الحرام، سَواء أُرِيد بِهِ العقابُ، أو ما يُسْتَحَقُّ بِهِ من الذُّنوب[3]، وأمّا الذَّنْبُ؛ فهو كلُّ جُرمٍ ومعصيةٍ، صغيرةً كانت أو كبيرةً، عمدًا كانت أو سهوًا، ويُطلَقُ على ما يُقصدُ بالذّات، ويُعبَّر به عن التَّأخُّرِ والتَّخلُّفِ والسُّفولِ وهبوط الرُّتبة، ثمَّ استُعمل في كلِّ فعلٍ تُسْتوخَمُ عقباه، ولهذا يُسمّى الذَّنْبُ تبعةً؛ اعتبارًا بما يحصلُ من عاقبته[4]، إذًا: فالذَّنبُ هو ذاتُ الجُرم، صغيرًا كان أو كبيرًا، عمدًا كان أو سهوًا، بينما الإثمُ هو التَّأخُّر عن الخير، ولا يكونُ إلّا عمدًا، وتنفرُ منه النَّفسُ، ويُطلقُ على ذاتِ الإثم وعلى العقوبة، ولهذا كان استعمالُه هنا أنسبَ؛ فهُم يجتنبون كلَّ كبيرةٍ تُؤخِّرُهم عن الخيرِ، وتنفرُ منها نفوسُهم.

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أثم)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 233.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (2553).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (إثم)، وأبو حيّان، البحر المحيط: 1/ 469، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 40.

(4) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ذنب)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 221، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 40.

المغفرةُ والعَفو والصَّفح:

مـــع شـــدَّةِ غـضـبـهـم، لا يـنـتـقـمـون بل يـتـجـاوزون الـعـقـابَ الـجـسـمـانيَّ والرّوحانيَّ

المغفرةُ: تغطيةُ الذَّنبِ بإيجابِ المثوبة، أي: الغفرانُ يقتضي إسقاطَ العقاب، وإسقاطُ العقاب: هو إيجابُ الثَّواب، فلا يستحقُّ الغفران إلّا المؤمنُ المستحِقُّ للثَّواب، ولذلك كَثُرتِ المغفرة من صفاتِ الله تعالى دونَ صفاتِ العباد، فلا يُقال: غفرَ زيد لك إلّا شاذًّا قليلًا.

بينما العفو يقتضي إسقاطَ اللَّوم والذَّمِّ، ولا يقتضي إيجابَ الثَّواب، ولهذا يُستعمَلُ في العبد، كما يستعملُ في صفات الله، فالعفو: إسقاطُ العذاب الجسمانيِّ، والمغفرةُ: إسقاطُ العذاب الرَّوحانيِّ، والتَّجاوزُ عنهما، وقيل: العفوُ أبلغُ من المغفرة، فإنَّ الغفران يُنبئُ عن السَّتر، والعفوَ يُنبئ عن المَحو، وهو أبلغُ من السِّتر؛ لأنَّ السِّترَ للشَّيء قد يحصلُ مع إبقاءِ أصله، بخلافِ المَحو فإنَّه إزالة جملةً ورأسًا.

وأمّا الصَّفحُ؛ فهو التَّجاوزُ عن الذَّنب، من قولك: صفَحْتُ الورقةَ؛ إذا تجاوزتها، وقيل: هو تركُ مؤاخذة المُذْنب بالذَّنب، وأن تبديَ له صفحةً جميلة، ولهذا لا يُستعملُ في الله تعالى[1].

وقد ناسبَ هنا استعمالُ المغفرة؛ لأنَّه واردٌ في سياق مدح صفات المؤمنين، ولتظهرَ المقابلةُ بشكلٍ أبلغ بين الغضب والغفران، ففي شدَّة غضبهم لا ينتقمون، أو يعاقبون، وإنَّما يتجاوزون العقابَ الجسمانيَّ والرّوحانيَّ، ويتركون العقابَ، وربَّما يحسنون.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (عفو)، (غفر)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 363، و364.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"